



عالم الغيب وعالم الشهادة

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2023-05-15

عمان

الأردن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. اللهم علّمنا ما ينفعنا، وأنفعنا بما علّمتنا، وزدنا علماً، وعملاً متقبلاً يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، وبعد:

النعم العظيمة التي منّ بها الله تعالى على عباده (العينان مثلاً):

أيها الإخوة الأحباب؛ خلق الله تعالى الإنسان وأعطاه من المؤهلات الجسمية والنفسية ما أعطاه، ومن النعم العظيمة التي امتن الله تعالى بها على عباده وخاطبهم معاتباً من قصّر في عبادته رغم كل هذه النعم قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8)

(سورة البلد)



العينان نعمة من نعم الله

فالعينان نعمة من نعم الله تعالى لا تغيبان عن عاقل، ولا يدركهما ولا يدرك عظيم فضلها إلا من غابت عنه تلك النعمة، لذلك ندعو دائماً ونقول: "اللهم عرفنا نعمك بدوامها لا بزوالها" لأن النعمة إذا زالت عرفها الجميع، ولكن المؤمن وحده يعرف النعمة وهو يعيشها، ولا ينسى فضل المُنعم عليه فيها، قال أهل التفسير من أهل الإعجاز إن قوله تعالى: **(أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ)** أو من أهل التفسير العلمي قالوا: إن العين الواحدة يبصر بها الإنسان الدنيا، فعين واحدة تبصر بها الأشياء، لكن العينين معاً تستطيع من خلالهما أن تدرك البعد الثالث للأشياء؛ أن تنظر في العمق، ويضربون على ذلك مثلاً: أنك لو جئت بإبرة وحاولت أن تُدخل الخيط فيها بعين واحدة فإن الخيط سيأتي بعيداً عن الإبرة ستيتمراً أو اثنتين أو ثلاثة؛ لأنك لم تدرك العمق، أما إذا تكاملت النظرة بعينين اثنتين فإنك تستطيع ربما بمحاولة واحدة أو اثنتين أو ثلاث أن تدخل الخيط في ثقب الإبرة، فالعينان مهمتهما أن تدرك بهما البعد الثالث للأشياء فبعين واحدة يرى الإنسان لكن بعينين يرى في العمق، هذه مقدمة لما أريد قوله وهو:

العالمان اللذان خلقهما الله تعالى (عالم الغيب، وعالم الشهادة) وتربطهما:



لا بد أن تتكامل النظرة دائماً

أن الله تعالى خلق عالمين، عالمين اثنتين: خلق عالماً اسمه عالم الشهادة، وخلق عالماً آخر اسمه عالم الغيب، وهو -جلّ جلاله- عالم الغيب والشهادة، وهذان العالمان لا بد أن ينظر لهما الإنسان بعينين اثنتين، فإن نظر بعين واحدة كانت الرؤيا ناقصة ولم تكن في العمق، وإنما كانت سطحية، لا بد دائماً أن تتكامل النظرة؛ أي لو نظرنا إلى مشهد ظالم ومظلوم بعين واحدة وهي عين الدنيا شيء يدمي القلب؛ مظلوم لا يقوى على رد ظالمه، وظالمه يتفنن في إبدائه وهو لا يستطيع أن يرد على ظلمه، شيء مزعج جداً، لو نظرنا بعين واحدة؛ امرأة تزوجها زوج ذو منصب ومال فعاشرت في أحسن ما يرام في عُرف أهل الأرض، وثانية تقطع ربما مئات الكيلومترات وهي صالحة وطيبة وخلوقة، لكن الظروف أجبرتها لتخدم في بيت عند تلك المرأة لتتقاضى في نهاية الشهر مبلغاً زهيداً ترسله إلى زوجها وأولادها، مشهد مؤلم عين واحدة المشهد مؤلم مزعج، لو نظرنا بعين واحدة رجل صالح وتقى وخير وعلم وسعى كل السعي في سبيل تحصيل رزق، لكن الفقر سيطر عليه وما استطاع أن يأخذ من الدنيا إلا تنقاً تبقى أوده، وإنسان آخر بعيد كل البعد عن المعرفة وعن العلم وعن الخير وليس فيه من خصال الخير شيء، ثم هو ينعم بكل ملذات الحياة ويكل ما فيها من خيرات، أيضاً المشهد مؤلم هذه عين واحدة تعطي نظرة سطحية للأمور، لو ضم الإنسان دائماً إلى نظره عالم الغيب مع عالم الشهادة أي هناك شيء غاب عني لكنني مؤمن به يتوازن يستطيع الآن أن يتوازن بأن الدنيا ليست دار قرار وإنما هي دار ابتلاء، وإن الآخرة هي دار القرار يتوازن، يستطيع أن ينظر نظرة مختلفة، لا أقول: لا يتألم لحال المظلوم، ولا أقول: لا يتعاطف مع المرأة المحتاجة، ولا أقول: لا يمد يد العون لذلك الفقير الذي لم يستطع تقديم أو تأمين قوت يومه، بل على العكس ليس حاله كحال هؤلاء الذين ابتلاهم الله، فقالوا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا لَئِنْ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَعُهُمْ مِنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْفَعَهُمْ إِنْ أَشَاءُ إِلَّا فِي ضَلَالٍ
كَبِيرٍ (47)

(سورة يس)

لا، أبداً، لكنه يخف ألمه أو تخف نظره المتشائمة، يدرك الحقيقة كاملة فترتاح نفسه، إذاً عالم الشهادة وعالم الغيب، هذا عبر عنه القرآن الكريم فقال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ (7)

(سورة الروم)



الدنيا ظاهر وباطن

هذا النظر بعين واحدة، ما صفات هؤلاء المنحرفين؟ ما صفات هؤلاء الشاردين عن الله (يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) حتى لم يقل -جلّ جلاله-: "يعلمون الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون" هم حتى الدنيا لا يعلمونها لأن الدنيا مرتبطة بالآخرة ارتباطاً وثيقاً، فإذا كان علم ظاهراً منها فهو ما علمها؛ لأن كثيراً من الأمور في الدنيا أنت تراها بشيء وهي في حقيقتها شيء آخر، فالدنيا ظاهر وباطن، ظاهرها المال، ظاهرها الصحة، ظاهرها القوة، ظاهرها المنصب، لكن من أدراك أن هذا الظاهر صحيح في الدنيا قبل الآخرة؟ أغلب من يظهرون على الشاشات ممن يسمون الفنانين والفنانات وغير ذلك، إذا أرادوا أن يتصوروا صورة شخصية مع نسائهم أو في حالة معينة مع زوجته الظاهر رائع جداً، وإذا خرجوا إلى الإعلام يتحدثون عن سيرة الحب العظيمة التي يعيشها هو وزوجته، حتى إن الجالسين خلف الشاشات لا سيما من النساء تتمنى كل واحدة منهن لو كان زوجها فلان من الفنانين الذي يتعامل مع زوجته بهذا الرقي، ثم تنام وتصحو علي خبر الطلاق والفضائح، إذا هي إن تراه هو ظاهر لكن ليس حقيقة، هو في الدنيا ليس حقيقة، لا أقول: هو ليس حقيقة في الآخرة لكن هو في الدنيا ليس حقيقة، لذلك ربنا -جلّ جلاله- قال: (يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)، وفي آية أخرى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ لِلَّهِ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ ۚ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجِدُ فِي اللَّهِ
يَغْيِرَ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ (20)

(سورة لقمان)

فكم من نعم باطنة لم يدركها الإنسان ثم بدا له أنها نعمة وهو كان يظنها نعمة، كم من مرض قربه إلى الله، كم من مرض دفعه إلى التوبة، كم من لحظة ضعف دفعته للالتجاء إلى باب الله وقد كان ناسياً غافلاً، كم من نقص مال صرف عنه سوءاً أشد كان سيئاته لو كان المال معه ثم يدرك بعد ذلك، إذا حتى الدنيا هم لا يعلمونها على حقيقتها هم (يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ينظرون مال كثير، يقول لك: ربنا -عزّ وجلّ- يحبه أعطاه المال، قارون هل كان ربه يحبه عندما أعطاه المال؟ لكن في الوقت نفسه أعطى المال لعثمان وكان يحبه، إذا كما قال -صلى الله عليه وسلم-:

{ إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَن يُحِبُّ وَمَن لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا مَن أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ... }

(رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود)



المال يُعطى للجميع في الدنيا

فهو ليس مقياساً إذاً، ما دام يعطى لمن يحب لمن لا يحب ليس مقياساً، الآن أنت لو جلست مع أب في بيت تريد أن تعرف أيّ الأولاد يميز عن الآخر؟ احتضن الأول، قلت: يا سلام يحبه أكثر، فاحتضن الثاني إذاً الاحتضان ليس مقياساً؛ بطل المقياس، أعطى الأول ديناراً: يحبه أكثر، ثم نادى للثاني وأعطاه ديناراً هذا ليس مقياساً، قبل الأول: يحبه، قبل الثاني إذاً هذا ليس مقياساً، فإذاً عندما يكون الأمر يُعطى للجميع فهو ليس مقياساً للتفاضل بين الناس، المال يُعطى للجميع في الدنيا، يعطيه لمن يحب ويعطيه من لا يحب، القوة يعطيها لمن يحب و لمن لا يحب، و الصحة يعطيها لمن يحب ويعطيها لمن لا يحب، كم من إنسان منحرف بعيد عن الله - عز وجل - عاش صحيحاً وبلغ الـ90 من عمره وهو في أوج صحته وعافيته وهو لا يلتفت إلى قيلة ولا يصلي صلاة، فإذاً هذه ليست مفايس، ما جعلها الله مفايس يتفاضل البشر بينهم فيها فهؤلاء يعلمون هذا الظاهر و يتفاضلون من خلال الظاهر لا من خلال الباطن حتى في الدنيا، فوصفهم الله تعالى فقال: **(يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)**، أما الآخرة لا يعلمون عنها لا ظاهراً ولا باطناً، **(وَهُمْ عَنِ نَّالِ أَجْرِهِمْ غٰفِلُونَ)** يعني لا يخطر في باله للحظة واحدة وهو يتأمل في عالم الشهادة أن يلتفت لحظة إلى عالم الغيب أبداً.

الإيمان هو أن يؤمن الإنسان بالغيب:



الإيمان هو الغيب

لذلك أحببنا الكرام: **الإيمان هو الغيب** وهذا ما نركز عليه دائماً في هذا اللقاء الطيب: الإيمان هو أن يؤمن الإنسان بالغيب فما نفع أن أقول لك: أنا مؤمن الآن بوجودك أمامي، تسخر من مقولتي، وجودي أمامك لا حاجة لأن تصفه بأنني مؤمن به؛ لأن الوجود ليس مع العين أين؟ لا داعي لأن تنهاى في إثبات ذلك وأنت تراني، أو تسمع صوتي، أو ترى حالي، أو تشم ريحاً، أو تذوق شيئاً، فتقول: أنا مؤمن بأن هذا الذي أتذوقه هو كمون مثلاً لا داعي أنتهى الأمر، أدركته بحواسك، فالإيمان هو أن تؤمن بالغيب ولما ينتقل الإيمان من الغيب إلى الشهادة فلم يعد إيماناً ولا يقبل أصلاً، الدليل: فرعون أكفر كافر في الأرض قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهُمُّنِّي عَلَىٰ لَطِينٍ فَعَجَلَ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ

(سورة القصص)

وقيلها قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سورة النازعات)

يعني (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي) يسميه أهل الشام (مشلبة شوي) أي أخف قليلاً، أما الأولى (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) كفر بواح يدّعي الربوبية (أَنَا رَبُّكُم) ليس فقط توجهوا لي، أنا من أرزقكم وأعطيكُم وأهبطكم الحياة، هذا مفهوم الربوبية -والعباد بالله- فهو يدّعي الربوبية، لما أدركه الغرق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجُوزْنَا بِبَيْتِ إِسْرَءِيلَ قُلُوبًا فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ لُغْرُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ
تَنُوبًا إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90)

(سورة يونس)

قال له تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ءَالْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91)

(سورة يونس)

انتهى الوقت لأنك انتقلت من عالم الغيب، كان مطلوباً منك أن تؤمن بالله وأنت في الغيب، لكن لما رأيت الحقيقة عند الموت لم يعد يصلح أن تقول: آمنت؛ لأنك رأيت، حسناً ربنا -عز وجل- لماذا لم يرجعه إلى الدنيا مثلاً؟ انظر إلى قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يُفْعَلُ عَلَىٰ النَّارِ فَعَالُوا يُلَيِّنُنَا تُرَدُّ وَلَا تُكَذِّبُ بَابِ رَبَّنَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (27)

(سورة الأنعام)

(يُفْعَلُ عَلَىٰ النَّارِ) صاروا وجهاً لوجه أمام الحقيقة التي أنكروها، لأن الإنسان في الدنيا لو أنه يدرك أن هناك ناراً كان انتبه لحاله، كان آمن بالله (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يُفْعَلُ عَلَىٰ النَّارِ فَعَالُوا يُلَيِّنُنَا تُرَدُّ وَلَا تُكَذِّبُ بَابِ رَبَّنَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)، نريد أن نؤمن بالغيب من جديد، فقال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (28)

(سورة الأنعام)



الغيب قريب جداً من الشهادة

(وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) هذا كلام الحق -جلّ جلاله- الأعلّم بالنفس التي خلقها، قد إنسان يقول لك: معقول شاهد العذاب بعينه ويرجع، معقول؟! نعم، أحياناً الإنسان بالدنيا يصل لمرحلة متقدمة جداً يقول له الطبيب: هذا الغذاء أو التدخين يجب أن تتركه أنتهى، ليس هناك مجال، ويرجع يقول لك: أنا إذا ما أكلت رزاً ولحمًا ودسماً؛ الدهن أخي الحياة كلها- طبعاً هذا مباح الرز واللحم- أو يقول لك: أريد أن أرجع وأدخّن مهما يحصل يحصل، هذا في الدنيا، الآن ربنا يصف هؤلاء في الآخرة قال: **(وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ)** لأن الإنسان عندما يرى الحقيقة أمامه بهذه اللحظة فقط يخاف، لكن عندما تعود وتصبح غيباً -إلا المؤمن فقط- الغيب لن أقول مثل الشهادة لكن قريب جداً من الشهادة، لذلك ربنا في القرآن كثيراً ما سماه ظناً وهو يقين، لكن سماه ظناً لأنه ليس شهادة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَنَّهُمْ مُلْفُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رُجْعُونَ (46)

(سورة البقرة)

هنا الظن بمعنى اليقين، لغةً: الظن بمعنى اليقين، لكن لماذا عدل عن اليقين إلى الظن؟ لأنه ما صار شهادة مازال غيباً، لكن وهو في عالم الشهادة يدرك تماماً أنه سيلقي ربه، فالإيمان الذي ينفع هو الإيمان الذي يكون في الغيب، قال: **(تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الَّتِي كُنَّا نُخْفِي عَنْ قَوْمِكَ مِنْ قَبْلُ)** من أعمالهم السيئة، المشهد صار واضحاً جداً، **(فَقَالُوا يَلَيْتْنَا نَرَاهُ وَلَا نَكذبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)** قال: **(وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)** يكذب لأنه رأى الحقيقة أمامه، لذلك المؤمن؛ المؤمن حقيقة هو الذي يؤمن بالغيب.

أركان الإيمان كلها غيب:

وإذا نظرت إلى أركان الإيمان وجدت أن كلها أو معظمها غيب، الإيمان أن تؤمن بالله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103)

(سورة الأنعام)

ربنا -جلّ جلاله- ما تركك، إن الغيب غيب مطلق أي الشهادة فيه صفر، ليست صفراً، هناك كون يشهد بوجود الله لكن هل تراه بعينك؟ لا، إذاً هو غيب **(لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ)**.

{ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِئًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ،

وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ..... }

(صحيح البخاري عن أبي هريرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَنِينَ يَذَّبْنَ عَنْهُ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (11)

(سورة الرعد)

لكن لا نراهم؛ غيب، وكتبه: القرآن شهادة لكن طريقة نزوله جزء منها غيب كثير، الكتب السماوية السابقة غير موجودة بين أيدينا كما أنزلت لكن نؤمن بها وهي غيب، ورسله: غيب، من رأى الرسل قلة من الناس لكن نحن نؤمن بالغيب، واليوم الآخر: غيب، والقضاء والقدر: غيب، لا ندرك لماذا أو لا نعرف لماذا حصل هذا، أو ما العبرة منه أو لماذا وقع؟ لكن أن تعلم: أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وإن ما أصابك لم يكن ليخطئك، ولن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تعلم:

{ ... واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، واعلم أن التصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع

العسر يسرا }

(أخرجه الترمذي، وأحمد باختلاف يسير عن عبد الله بن عباس)

فأركان الإيمان كلها غيب، الجانب الغيبي فيها هو المسيطر، فالإيمان في الحقيقة هو غيب، لذلك ربنا -جلّ جلاله- بسورة البقرة أول صفة قبل إقامة الصلاة وقبل إتياء الزكاة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3)

(سورة البقرة)

لأنه لن تقيم الصلاة حقاً إلا إذا آمنت بالغيب، ولن تنفق مما رزقك الله إلا إذا آمنت بالغيب، أنا ما الذي يدفعني أن يكون في جيبى 100 دينار ثم أدفع دينارين ونصف منها مثلاً للفقراء والمساكين؛ إيمان بالغيب، إيمان بأن الله يعلم ويعوض وأعد للمنفقين أجراً عظيماً.

الدافع للقيام بالعبادات:



مع الإيمان بالغيب الصلاة متعة

جسناً ما الذي يدفعني أن أقف بين يدي الله اركع واسجد حركات، من غير إيمان بالغيب الصلاة حركات وسكنات، عفواً لا معنى له، أما مع الإيمان بالغيب صارت الصلاة متعة لأنني أناجي إلهاً عظيماً يراني ويسمعني؛ غيب، أعد للمصلين أجراً عظيماً؛ غيب، يصوم لماذا يصوم؟ هناك باب الريان يدخل منه الصائمون.

{ مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا }
(صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري)

أين الشهادة في الموضوع؟ كله غيب، يحصل بعض السكينة، يرتاح قليلاً، هذه دفعات على الحساب في الدنيا لكن الأجر والعطاء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ فَمَنْ زُجِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا لِخَيْوَةِ لَدُنِّيَا إِلَّا
مَنْعٌ لِّغُرُورٍ (185)
(سورة آل عمران)

فهو غيب، فالإنسان عندما يؤمن بالغيب حقيقة تستقيم حياته، لا يظلم، لا يطغى في الأرض، لا يبنى مجده على أنقاض الناس، يؤدي الفرائض، يجتنب المحرمات، إذا ترك فريضة أو أتى محرماً عاد إلى الله تعالى فوراً، مذهب، تواب، لا يستمر في الذنب، لا يستمر في الخطأ، إذا هو في الإيمان بالغيب في بوتقة الإيمان بالغيب.

عالم الغيب وعالم الشهادة عند النصارى واليهود:

فأحبائنا الكرام؛ الأقوام السابقون -لا سيما الرسالتان الرئيسيتان اللتان تحدث عنهما القرآن: النصرانية واليهودية -هؤلاء كانوا بطريقة أو بأخرى أصحاب عالم شهادة، عالم الغيب عندهم أخذ حيزاً بسيطاً، الشهادة آخذة الحيز الأوسع، والدليل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنِزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابٌ مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ
ثُمَّ تَوَلَّوْا لِعِجَالٍ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ لَيَبِئْسَ فَعْقُولُنَا عَنِ ذَلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا (153)
(سورة النساء)

اليهود (أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً)، النصارى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَتَكُونُ عَلَيْهَا مِنَّا لَشَّاهِدِينَ (113)
(سورة المائدة)

نريد المائدة من السماء أي شهادة، اليهود:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قُلْتُمْ يُمُوسَىٰ لَنْ نَّبْصِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَجِدْ فَدَعَا لَنَا رَبُّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْهِي لَنَا مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ مِنْ قُلُوبِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلِهَا قَالِ أَنْتَسْتَدِلُونَ لِذِي هُوَ أَذْنَىٰ بِذِي هُوَ خَيْرٌ هُيْطَلُوا مِصْرًا فَإِنْ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ لَدُّهُ وَلَمَسْكَنُهُ وَبَاءُوا
يَغْضَبُ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ الَّذِينَ يَنْبَغِي لِحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (61)
(سورة البقرة)

نريد أكلًا وشربًا أخي، هم عالم شهادة أي إيمانهم بالشهادة، لذلك حتى ربنا -جلّ جلاله- عندما خاطب بني إسرائيل قال:

يُسْمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيْمُ
يُبَيِّنُ إِسْرَءِيْلَ ذُكْرًا يَعْصِي لَّيْنِ أَنْعَمْتَ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنَّ قَلِيلَ الظَّالِمِينَ (40)

(سورة البقرة)

النعمة شهادة، عندما خاطب المسلمين قال:

يُسْمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيْمُ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ذُكِّرُوا بِاللّٰهِ ذِكْرًا كَثِيرًا (41)

(سورة الأحزاب)



البشرية الآن لا تصدق حتى ترى

الغيب، يعني نحن أمة الإسلام يريد الله تعالى منا أن نرقى إلى مستوى الإيمان بالغيب، أما مسلم اليوم الذي يقول لك: أنا لا أصدق حتى أرى هذا ليس إيمانًا، كيف لا أصدق حتى أرى؟! أصلًا تطور البشرية اليوم ما عاد يسمح لك أن تقول: لا أصدق حتى أرى، فأنت تصدق بالكهرباء ولم ترها، وتصدق بالفيروس ولم تره، فتطور البشرية اليوم أصبح هذا الكلام "لا أصدق حتى أرى" غير منطقي وغير واقعي، النصارى قالوا -أتباع سيدنا عيسى عليه السلام-:

يُسْمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيْمُ
قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ ۚ وَزُفَرًا وَأَنْتَ خَبِيرٌ
الزُّرْفَيْنِ (114)

(سورة المائدة)

الآن يريدون أن يعبروا عن حاجتهم لهذه المائدة، سيدنا عيسى قال لهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذْ قَالَ لَحْوَإِثْنُونَ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ تَقُولُوا ۖ لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (112)

(سورة المائدة)

أي إذا أنتم مؤمنون بالغيب حقيقة اتقوا الله أن تطلبوا هذا الطلب؛ لأن الإيمان بالغيب لا يحتاج شهادة، لا يريد مائدة من السماء، ربنا موجود، المائدة الحقيقية التي تأكلون عليها كل يوم هي الشهادة لوجود الله، الإنسان اليوم يجلس على المائدة الطبيعية التي عليها لبنه وجبته وخيار ويندورة هذه وحدها تدفعك لأن تكون موقناً بوجود الله -عزَّ وجلَّ- هذه النعم العظيمة وتحمد الله عليها، لا يحتاج الأمر إلى مائدة من السماء فقال: **(تَقُولُوا ۖ لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ)**، فكل شيء يدل على وجود الله انتهى الأمر.



الإنسان يخفي أسبابه الحقيقية دائماً

(قالوا نريد أن تأكل منها وَتَلْمِزَ فُلُوتَنَا وَتَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَتَكُونَ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ) أربعة أجوبة، هناك أمر له علاقة بالنفس البشرية قبل أن أعلق على الآيات الكريمات، الإنسان عموماً لا يتكلم بالسبب الحقيقي لمواقفه إلا إذا وضعته في زاوية ضيقة جداً إلا إذا اضطر، دائماً الإنسان يخفي أسبابه الحقيقية لا يتكلم بها، الكل ليس هذا أمر بانسان؛ أي لو كان عنده مشكلة مع زوجته -وأنا هذا أعابته- وأتى إلى من يحل له الإشكال يريد أن يطلق زوجته مثلاً، لماذا تريد أن تطلقها؟ يقول لك: ليست نظيفة بالبيت، حسناً يا أخي، الأمر يحتاج طلاقاً؟ نتكلم معها، لا تكوي لي ملابسني، الألبسة دائماً غير مكوية، حسناً أنت -ما شاء الله - مقتدر ضعهم عند الكؤاء وأرحنا، الآن هو آخر شيء بالعمق يوجد شيء، هناك شيء ينبغي أن تحققه الحياة الزوجية زوجته لا تحققه له، لكن هو لا يستطيع الكلام به، فيؤجل دائماً بأسبابه الحقيقية إلى آخر حد ولا ينطق بها إلا إذا اضطر إليها، يهرب من السبب الحقيقي الإنسان لأنه يخرجه، هؤلاء لما أرادوا المائدة من السماء، لماذا تريدونها؟ قال: **(نريد أن تأكل منها)** آه!! أكل، حسناً يوجد أكل، يحضر لكم الأكل من غير مائدة من السماء، من الأرض يوجد أكل، **(وَتَلْمِزَ فُلُوتَنَا)** والله نحن مؤمنين لكن إذا أكلنا من مائدة من السماء نرتاح أكثر نريد شيئاً، الثالثة **(وَتَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا)** آه!! معنى هذا أنتم تفكرون أنني أكذب عليكم، معناها: أنا كنت أكذب عليكم: **(وَتَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا)**، الرابعة **(وَتَكُونَ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ)** نحن جماعة نريد شهادة لا نريد غيباً، نريد شيئاً نراه بعيننا، فهم في الحقيقة كان عندهم ضعف إيمان بالغيب، لكن ما مشكلة الشهادة؟ **(قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۖ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ)** سيدنا عيسى حريص على هدايتهم إذا كان الموضوع بمائدة **(أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً)**، حتى بالعذاب قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمْ ۖ الْعَذَابُ وَلَئِنَّهُمْ بِعَذَابِهِ لَأَسْعُرُونَ (53)

(سورة العنكبوت)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (16)

(سورة ص)

نريد أن نشاهد العذاب الآن، عذاب!! نريد أن نشاهده، هذا جود الإنسان عندما لا يكون عنده إيمان بالغيب، يريد أن يرى العذاب الآن، يريد أن يشاهد كل شيء، فسيدنا عيسى يعلمهم: **(اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ)**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (115)

(سورة المائدة)

لكن المصيبة (فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ) عندما يصبح عالم شهادة لا يوجد إنظار وإمهال، لا يوجد وقت، الوقت ربنا أعطانا مهلة لأنه غيب، لأجل أن تبني إيمانك تتراجع قليلاً، تتقدم قليلاً، آخر شيء تصل للحقيقة الكبرى ثم ربنا -عز وجل-:

{ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَغْدِي خَيْرًا عَسَلَهُ قِيلَ وَمَا عَسَلَهُ قَالَ يَفْتَحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ }
(رواه الإمام أحمد في مسنده عن عمرو بن الحمق)

فربنا-عز وجل- يؤدبنا حتى نصل بالغيب لأعظم درجات الإيمان حتى ننعم بجنة عرضها السماوات والأرض، أما إذا تريد المشاهدة بعينك لم يعد هناك إنظار انتهى، أي كفر بعد ذلك أو إعراس أو.....
العقوبة فوراً تأتيك، هذا ما توعدهم به (إِنِّي مُنَزِّلُهَا).

الإيمان بالغيب هو الإيمان:



لا تستقيم الحياة إلا بيوم آخر تُسَوَّى فيه الحسابات

فأحبائنا الكرام: الإيمان بالغيب لا أقول: هو جوهر الإيمان، أقول: هو الإيمان، الإيمان بالغيب هو الإيمان، فمن يؤمن بالغيب فهو مؤمن، ومن ينظر إلى الدنيا بعين واحدة لن تستقيم أموره أبداً، لأنه لا تستقيم الحياة إلا بيوم آخر تُسَوَّى فيه الحسابات، أما الدنيا فيها ظالم ومظلوم، وقوي وضعيف، وفقير وغني، ثم تنتهي ولا حساب؛ مستحيل، ابن القيم الجوزية -رحمه الله- يقول: "كل الإيمان بالغيب دليله نقلي" نقراً بالقرآن أنه يوجد يوم آخر انتهى، قال: "لكنني أرى -ابن القيم- أن هناك دليلاً عقلياً على اليوم الآخر بأنه ما دمت ترى أن الدنيا بهذا الإبداع في الخلق ثم تنظر إلى الحياة فترى فيها هذه المتناقضات، فالعقل السليم يحكم بأن الأمور لا ينبغي أن تنتهي ههنا، وإنما لا بد من شيء بعدها"، العقل السليم يحكم بأنه في شيء آخر مثل تماماً أنا أمثلها بإنسان حضر مسرحية على الطراز القديم، ستارة كبيرة تفتح وتغلق، الفصل الأول، الفصل الثاني والفصل الثالث، وهو يعلم أن المسرحية ثلاثة فصول مثلاً، انتهت الفصول الثلاثة لكن ما زالت القصة ما انتهت، ما زالت جريمة القتل ما كشفت، ما زال الظالم يظلم، ما زالت المرأة لم تأخذ حقها مثلاً وهي قد ظلمت في بيت زوجها فرضاً، يبقى الجميع ينتظرون نهاية القصة؛ لأنه العقل السليم يحكم بأنه ما زال هناك فصولاً أخرى، فالذي يظن أن الدنيا تنتهي وينتهي معها كل شيء هذا الذي وصفه -صلى الله عليه وسلم- فقال:

{ اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تَبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّاتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّئُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْنَا

بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْبَبْتَ، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ نَارَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا

تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمًّا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تَسْلُطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا }

(أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمر)

الذي يظن أنه بنهاية الدنيا ينتهي كل شيء فالدنيا مبلغ علمه، لا يعرف ولا سطر بعد الدنيا، آخر سطر عنده هو الدنيا فتنتهي عنده كل شيء، لذلك الذين يسعون في الأرض فساداً هم من أهل عالم الشهادة، والذين يظلمون ويبغون ويقول لك: الحق نفسك الدنيا خالصة و مارة، وكلنا سنموت الحق حالك ما تستطيع أخذه خذه، هذا من عالم الشهادة هذا الدنيا مبلغ علمه، فما دام لا يوجد بعدها شيء فهو أعدل العقلاء لكن إذا في بعدها جنة ونار فهو أغبى الأغبياء لأن الله -عز وجل- قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ أَدْهَبْتُمْ طَبِيبَكُمْ فِي حَبَائِكُمْ لِلدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا وَلَيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ
تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ لِحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (20)

(سورة الأحقاف)

(أَدْهَبْتُمْ طَبِيبَكُمْ) كان لكم حساب آخر لكن أنتم كل شيء استنفذتوه بالدنيا أخذتم ما تريدون في الدنيا، والأسوأ منه الذي لا يأخذ لا في الدنيا ولا في الآخرة -والعياذ بالله- أسوأ حالاً حُزِمَ الدنيا والآخرة.

الخاتمة:

فالإيمان بالغيب هو محور الاهتمام، وينبغي دائماً أن نربي أنفسنا على الإيمان بالغيب، وأن نربي أولادنا وطلابنا وفي جلسائنا العامة والخاصة على أن الإيمان بالغيب هو أساس ديننا، وأن الدنيا ليست منتهى الآمال ولا محط الرجال، وهذه المعلومات النظرية يعرفها معظم الناس لكن عند التطبيق لا بد أن نذكر أنفسنا بها؛ لأن الإنسان ينسى، لكن عندما يذكر نفسه دائماً بالغيب بعالم الغيب، يذكر نفسه بالآخرة، يذكر نفسه بالله تعالى، يذكر نفسه بالقرآن الكريم، يرسل الله، بمحمد -صلى الله عليه وسلم- فإنه لا شك يكون هذا أدعى استقامته على أمر الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.